خطبة الجمعة

الشيخ عز الدين الخطيب

إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يَهدِ اللهُ فلا مُضلَّ له ومَن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، فبلّغ الرسالة وأدّى الأمة ونصح الأمة حتى أتاه اليقين . صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الهُداة المهديين وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمّا بعد ، فقد قال الله تبارك وتعالى :

(إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً كبيراً) صدق الله العظيم .

أيها المســلمون :

من الحقائق الكبرى في كتاب الله أنه كتاب الهدى والنور ، بهذا وصفه لله عز وجل ،قال تعالى (آلــم ، ذلك الكتاب لاريب فيه هُدى للمتقين)وقال تعالى : (ونَزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهُدىً ورحمةً وبُشْرَى للمســلمين) . وقال (قد جاءكم من الله نُورٌ وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضــوانه سُبُلَ السلام ويخرجهم من الظلمــات إلى النور بإذنه ويَهْديهم إلى صِــرَاط مســتقيم) .

هذه هي الحقيقة الناصعة في هذا الكتاب أنه يهدي إلي صراط مستقيم يهدى للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض أفراداً وأزواجاً آباءاً وأبنــاءاً دولاً وشعوباً ألواناً وأجناساً ، ويقيــم هذه العلاقات على أسس ثابتــة لاتتأثر بالرأي ولاتميل مع الهوى ، ولا تضــطرب مع المودة والكره ، ولا تغيرها المصــالح والأغراض ، تلك الأسس التي أقامها الرحمان وأرساها العليم الخبير خالق الأرض والسماوات تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العُليَ .

أيهــا المسلمون :

الحياة من دون القرآن حياة تافهة ، حياة عقيمة ، حياة مرة ، حياة قاسية ، لأنها لاتسير في الطريق الأقوم ، ولاتقوم على الأساس السليم .

القرآن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده : (يا أيها الناس اعبدوا ربَّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلــكم تتقون) وقال : (وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلاّ ليعبدون) .

وعبادة الله تحرر الإنسان من الخضوع لغير الله وترفعــه من حضيض الذلة والمهانة إلى قمة العزة والكرامة .

القرآن يدعو الأمة وحكّامها إلى العدل في الحكم : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) وقال : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ولهذا فإن الإنسانية قد عرفت في ظلّ

القرآن العدل الأمثل ، حقيقة واقعة في حياتنا ، لا ادعاء ولا زعماً ولا حلماً ولاأمنية يحلق بها في خيال الشعراء وخيال الفلاسفة .

القرآن يدعو المؤمنين إلى رفض الظلم وإباء الضيم (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) . وقال : (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم)

القرآن يدعو أمة الإسلام إلى أن تجعل كتاب الله حكماً يحسم النزاع بينهم بما يحقق الخير لهم جميعاً فلا ظالم ولا مظلوم ولا سيد ولا عبد ·

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فَرُدُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلاً)

القرآن يدعو إلى ترك الفتن التي يعم ضررها وينتشر فسادها والتي تفتت جهود الأمة وتقضي على قوتها وتزيد من ويلاتها وتُضاعف من مآسيها قال تعالى: (واتقوا فتنةً لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقاب)

وهذه الفتن لايفيد منها إلا الأعداء ولن يجني ثمارها الخبيثة إلا أبناء هذه الأمة .

القرآن يدعو إلى الجهاد في سبيل الله تثبيتاً للحق الأزلي (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين) وهو يدعو أمّة الإسلام إلى أن تقف قوةً واحدةً متصلةً بربها في جهاد أعدائها ، وأن تكون يقظةً فلا تتفرق ولا تختلف ولا تتنازع والأعداء متربصون : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتو، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)

أيها المسلمون :

هذه بعض مبادىء القرآن ، وهذا بعض إرشاده وهداية أسوقها للذكرى ،

والذكرى تنفع المؤمنين . فإن كان حقاً يريدون العزة والكرامة والمنعة والتحرر والعدل فما عليهم إلا أن يحيلوا القرآن وتعاليمه وأحكامه حقائق حية واقعة في حياتهم وإلا كانوا من المستكبرين عن كتاب الله وعن آياته ويصدق عليهم قول الله تعالى : (إن الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتُفتَّحُ لهم أبوابُ السماء ولا يدخلون الجنةَ حتى يَلِجَ الْجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاط ، وكذلك نجزي المجرمين)

أيها المسلمون :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف كتاب الله ويبين آثار العمل به وآثار تركه على حياة الأفراد والجماعات ، يقول عليه السلام :

(إن الله أنزل هذا القرآن آمراً وزاجراً وسنةً خاليةً ومثلاً مضروباً ، فيه نبأُكم وخَبَرُ مَن كان قبلكم ، ونبأُ مابعدكم ، وحكم مابينكم ، لايخلقه طُولُ الرَّد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أُجِرَ ومن تمسّك به هدي إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهُدى من غيره أضَلَّه الله ، ومن حكم بغيره قَصَمَهُ اللهُ ، هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتّبعه) .

أيها المسلمون :

إنكم تعيشون أياماً حاسمةً والقضية التي تواجهونها قضية خطيرة جادة وليست عرضية هازلة ، لأنها قضية مصير ، قضية حياة وموت ، فناء وبقاء ، قضية عبودية قاتلة وسيادة عزيزة . قضية نصر كريم وهزيمة ذليلة ، فإذا لم تركز الأمة في كفاحها على أساس من هذا الكتاب تشعبت أمامها السبل ولفها الفناء وطوتْها الأيام (ولقد يَسَّرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِرٍ)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .